الدراسات السابقة في البحث العلمي

بقلم: د/بوترعة بلال
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

الملخص:

يحاول هذا المقال التطرق إلى مفهوم الدراسات السابقة في البحث العلمي وأهمية هذه الدراسات في توجيه مسار البحث إلى الوجهة المطلوبة، كما يسلط الضوء على الاستراتيجيات التي تمكن الباحث من الحصول على الدراسات السابقة التي تؤطر بحثه، ويقدم هذا المقال جملة من التوجيهات المنهجية التي من شأنها مساعدة الباحث في توفير التراث النظري لموضوعه في حال انعدامه أو ندرته.

الكلمات المفتاحية: الدراسات السابقة. البحث العلمي. التراث النظري

Abstract : This article will discuss the concept of previous studies in scientific research and the importance of previous studies in directing the search path to the desired destination, Also highlights the strategies that enable the researcher to obtain previous studies that frame his research, As we will try through this article to provide a set of methodological guidance that will help the researcher to provide the theoretical heritage to its subject in the case of absence or lack thereof.

Keywords: previous studies, scientific research, theoretical heritage

تمهيد:

تعتبر مرحلة الاطلاع على الدراسات السابقة في البحث العلمي مرحلة مهمة جدا تمكن الباحث من الاطلاع على التراث المنشور عن الموضوع الذي ينوي دراسته، هذه المرحلة لها من المكاسب ما يجعل التركيز على عليها مطلبا مهما لنجاح البحث وانجازه، حيث تمكن الباحث من وضع أفكاره في سياقها وتحيطه علما كيف تناولت البحوث السابقة موضوعه وكيف فكر في الآخرون وكيف كتبوا عنه، ومن ثم تمكنه هذه الدراسات من بلورة وتنظيم أفكاره للانطلاق في بحثه بالشكل المطلوب والأفضل لمعالجة ذلك الموضوع المدروس.

1. تعريف الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة هي كل الدراسات المتصلة بالموضوع، مما تم نشرها بأي شكل من الأشكال بشرط أن تكون مساهمة ذات قيمة علمية، وقد يكون النشر بالطباعة أو بواسطة المحاضرات أو الأحاديث المذاعة صوتا فقط، أو صوتا وصورة، أو تم تقديمها لمؤسسة علمية للحصول على درجة علمية أو على مقابل مادي أو لمجرد الرغبة في المساهمة العلمية. (سعيد إسماعيل صيني،1994،ص 155)

وتعتبر هذه الدراسات أحد أهم مفردات البحث التي تهدف إلى إبراز الفجوات البحثية المعرفية وما يمكن أن يساهم فيه البحث الحالي.

2. لماذا الدراسات السابقة في البحث الاجتماعي؟

إن حرص الباحث على البحث والتنقيب عن الدراسات السابقة له مبرراته العلمية التي تخدم بشكل مباشر البحث المراد إنجازه في أي مجال من المجالات العلمية، حيث تساعد هذه الخطوة الباحث على حصر انتقادي للدراسات التي أجريت حول موضوع بحثه الحالي، وتعكس هذه الخطوة أيضا أن الباحث فاهم متمكن من موضوعه ومحيط بمختلف جوانبه وأبعاده المتشعبة وكذا تحديد الفجوات البحثية والمعرفية في التراث النظري المتحصل عليه ومن ثم تسليط الضوء على هذه الفجوات البحثية ودراستها في البحث الحالي.

3. أهمية مرحلة استطلاع الدراسات السابقة:

المعرفة العلمية هي معرفة تراكمية لا يمكنها أن تتقدم وتتطور ما لم يتم البناء الجديد انطلاقا من البناء السابق له، ومن هذا المنطلق فإن مرحلة استطلاع التراث النظري والمعرفي السابق حول موضوع البحث يعتبر من الخطوات المهمة التي يقع عاتقها على الباحث الجاد وهي دون شك خطوة مهمة في نجاح بحثه لأهمية هذا التراث النظري في فهم موضوع بحثه وهوما سنفصل فيه في الأسطر القادمة.

تعتبر هذه المرحلة (استطلاع الدراسات السابقة) هامة مرتين (عقيل حسين عقيل،د س،ص34ـ 35):

الأولى: قبل أن يحدد الباحث موضوع بحثه، أي أثناء الحيرة التي تتملكه حين يقرر دراسة موضوع معين، فكلما كان الاستطلاع واعيا بالقراءة النقدية، وتفسير النتائج والمعلومات المتوصل إليها من قبل سابقيه من خلال شكه العلمي والسعي للبحث عن الحقيقة، كلما استطاع الباحث أن يحدد معالم حدود بحثه بدقة واتضحت معالمه.

الثانية: على الباحث الانتباه إلى جملة الهفوات والاختلالات التي وقع فيها سابقيه عند تحديد موضوع بحثه، وذلك بغية تفاديها سواء كان ذلك أثناء تجميع المعلومات، أو أثناء تحليلها وتفسيرها واستخلاص النتائج منها، فالاطلاع العام على التراث النظري السابق حول موضوع البحث له أهمية بالغة في استكمال مختلف جوانب البحث الحالي.

ونؤكد في هذا السياق على اعتبارات مهمة في هذه المرحلة الاستطلاعية للتراث النظري حول موضوع البحث نذكرها فيما يلي:

- **شمولية المراجعة**: عند استطلاع التراث النظري حول موضوع ما، على الباحث أن يقوم بمراجعة شمولية لكل ما هو متوفر من معلومات ودراسات عن الموضوع، سواء كان ذلك منشورا أو غير منشور، حيث يتطلب هذا الإجراء وقتا مطولا، خصوصا إذا كان الموضوع المدروس لم يتم التطرق له بكثرة أو أنه حديث الظهور، فالباحث يختار الدراسات السابقة اعتمادا على كونها تمثل البحوث المحورية والأساسية في المجال، والاهتمام يكون منصبا في اقناع القارئ بأن الأبحاث التي تم اختيارها تعتبر ذات أهمية مباشرة ودقيقة بالموضوع المدروس وأن بقية البحوث التي تم ابعادها ليست ذات أهمية مباشرة في الموضوع المدروس (فيصل أحمد عبد الفتاح، 2011،ص 08)
- **تنظيم المراجعة**: هناك العديد من الإجراءات التي يمكن اتباعها لتنظيم هذه الخطوة، فيمكن الاعتماد على الشكل التاريخي، هنا تكون المراجعة فيه منظمة وتقوم على اتباع التسلسل الزمني خصوصا إن كان الاعتماد في دراسة الموضوع (الظاهرة) على مقدار التقدم أو النمو أو التطور في الظاهرة عبر الزمن(فيصل أحمد عبد الفتاح، 2011،ص 09).

ويشير الدكتور سعيد إسماعيل صيني إلى بعض الاعتبارات المهمة عند استطلاع واختيار الدراسات السابقة نذكرها فيما يلي(سعيد إسماعيل صيني،1994، ص ص 159 . 160):

1. على الباحث أن يقتصر في اختياره للدراسات السابقة (خصوصا في حال توفرها) على الدراسات البارزة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع، غير أن معيار البروز نسبي يترك لتقدير الباحث نفسه أو اللجنة التي ستناقش العمل، فقد يتمثل معيار البروز في كون الدراسة أفردت الموضوع بعمل مستقل، أو أفردت له فصلا أو مبحثا مستقلا أو مطلبا، أما الفقرات والاشارات غير البارزة التي وردت في هذه الدراسات السابقة والتي ليست لها صلة وثيقة بالموضوع المدروس فيمكن للباحث أن يضمنها في صلب بحثه، وتظهر هذه الفقرات المتناثرة ـ عادة ـ في شكل اقتباسات مباشرة أو يستشهد بها الباحث على استنتاجاته أو يؤلف منها خيوط بحثه.
2. في حال غزارة الدراسات والمعلومات ذات الصلة بالموضوع من الدرجة الأولى من حيث الصلة بمشكلة البحث، فإن الباحث يقتصر عليها عن استعراض الدراسات والمعلومات، ويستغني في مقابل ذلك على الدراسات والمعلومات من الدرجة الثانية من حيث الصلة بمشكلة البحث، ويمكن للباحث أن يدرج ما استبعده من هذه الدراسات ذات الدرجة الثانية ضمن المادة العلمية في بناء بحثه.
3. الاقتصار على نتائج الدراسات السابقة وتجاهل الأدلة والبراهين التي يذكرها الباحثين السابقين، خصوصا إذا كان المبرر للبحث المقترح هو وجود جوانب من المشكلة لا تزال في حاجة إلى الحل أو التأكد أو الإضافة، أما تلك الأدلة أو البراهين فيمكن ذكرها والاعتماد عليها في صلب البحث.

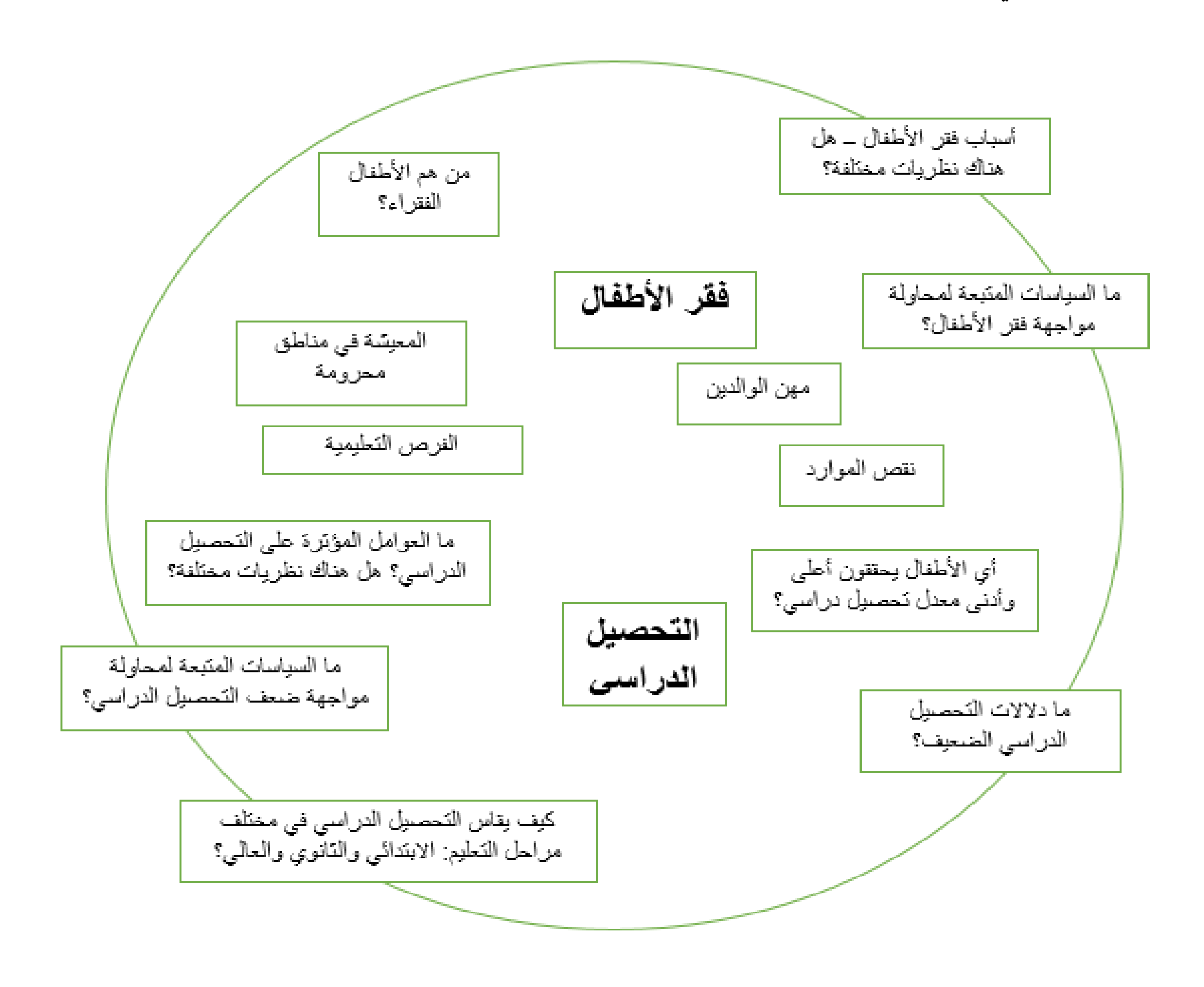
4. استراتيجية البحث عن الدراسات السابقة: يؤكد جميع علماء المنهجية على أن للدراسات السابقة أهمية كبيرة في نجاح البحث وتحديد وضبط أبرز معالمه ومن ثم فهم الظاهرة المدروسة وهو ما سنشير إليه في الأسطر القادمة من هذه المقالة، لذا لابد من الحديث عن الاستراتيجيات المناسبة للبحث عن هذه الدراسات بمختلف أشكالها، وفي الغالب فإن الباحثين سيكونون صنفين:

- الأول: يجدون وفرة كبيرة للدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع يكون الباحث في حيرة من أمره أيها يختار في دراسته.
- الثاني: يقع في مشكلة ندرة الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع

في كلا الحالتين على الباحث أن يكون حريصا جدا على اختيار الدراسات ذات الصلة المباشرة والأقرب لموضوع البحث ويستبعد غيرها، حيث يقترح كل من بوب ماتيوز و ليز روس استراتيجية لتحقيق هذه الغاية من خلال رسم شكل تخطيطي عنكبوتي لمختلف عناصر الموضوع المدروس التي سيغطيها البحث، فلو كان موضوع الدراسة مثلا " العلاقة بين فقر الطفولة و التحصيل الدراسي".

في هذه الدراسة يجب على الباحث أن يراجع بدقة بعض الدراسات السابقة المتعلقة بفقر الأطفال والتحصيل الدراسي كل على حدا مبدئيا، وربما هذا الإجراء يحتاجه غالبا الباحث الذي يجد ندرة في إيجاد الدراسات السابقة لبحثه، ومن خلال الشكل الموالي سيتضح هذا الشرح:

يتضح من خلال الشكل الآتي أن الموضوعات المتواجدة على حافة الدائرة هي ذات صلة بالموضوع وستزود الباحث بالخلفية العامة لاستعراض التراث، بينما تمثل الموضوعات القريبة من مركز الدائرة عناصر موضوع البحث التي يتعين على الباحث التركيز عليها عندما يشرع في تأمل العلاقة بين عنصري البحث " فقر الطفولة" و" التحصيل الدراسي".



المصدر: بوب ماتيوز. ليز روس. الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. ترجمة: محمد الجوهري. المركز القومي للترجمة.ط1. 2016. ص: 237

إن البحث عن الدراسات السابقة يزداد تركيزا وتحديدا ودقة كلما تقدم مسارها وكلما زادت درجة وضوح الأسئلة البحثية التي انطلق منها الباحث، فكثير من البحوث التي ينطلق منها بعض الباحثين تكون شديدة الاتساع والعمومية في البداية، لتبدأ في التحديد أكثر والدقة والضبط كلما تقدم الباحث في الموضوع وتحصل على دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع، فلو عدنا إلى المثال السابق مثلا "فقر الطفولة " "التحصيل الدراسي" قد يقرر الباحث اقتصار دراسته على مرحلة واحدة من مراحل التعليم في الابتدائي أو الثانوي أو العالي (بوب ماتيوز،ليز روس،2016،ص 234 . 236).

إن القراءة المتعمقة حول ما كتب حول موضوع البحث وخلفياته انطلاقا من معلومات الباحث الأولية تعتبر خطوة مهمة للحصول على دراسات ذات صلة بالموضوع، فلو كان الباحث بصدد دراسة موضوع قضايا البيئة في المنهاج التعليمي، فيبدأ بحثه بقراءات حول الموضوع والاطلاع على المناهج الدراسية وقراءة بعض المقالات عن التربية البيئية، فمن خلال هذه الخطوة سيبدأ يظهر للباحث تدريجيا بعض خفايا الموضوع وسيتعرف تدريجيا على أبرز الكتاب والباحثين والمراكز البحثية التي كتبت عن التربية البيئية وقضايا البيئة في المنهاج التعليمي، ويمكنه بذلك الحصول على الدراسات والأبحاث التي أجراها هؤلاء الباحثين أو تلك المراكز البحثية والمجلات العلمية والعالمية المحكمة، خصوصا تلك التي لها مواقع الكترونية عبر النت وتتيح تحميل أعداد مجلاتها بشكل الكتروني مما يسهل على الباحث عناء الحصول على دراسات ذات صلة موضوع بحثه.

كما يمكن للباحث أيضا التوجه إلى مختلف المكتبات العامة المحلية منها والوطنية وحتى الدولية من أجل الحصول على دراسات ذات صلة بموضوع البحث، وبعض هذه المكتبات تعرض خدماتها عن طريق الشبكة العنكبوتية حيث يمكن الوصول إلى قاعدة بيانتها، ويمكن الاعتماد على الانترنيت من خلال البحث في محركات البحث المختلفة باستخدام الكلمات المفتاحية لموضوع البحث ليتم العثور على مختلف الكتب والمجلات والرسائل والأطروحات التي لها صلة بموضوع الدراسة.

ولا يجب أن يقتصر الباحث على هذه المصادر فحسب للحصول على دراسات سابقة حول موضوعه، بل يمكنه أن يتواصل مع الأساتذة والباحثين والخبراء في المجال خصوصا أولئك الذين كتبوا في الموضوع وبحثوا فيه، حيث تمكنهم خبرتهم ومجال اختصاصهم من توجيه الباحث إلى مصادر الحصول على دراسات وأبحاث تفيده في موضوع بحثه الحالي.

5. أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي:

إن نجاح البحث وتحقيق أهدافه المرسومة سلفا مرهون بمدى اهتمامنا ونجاحنا في إعطاء أهمية للبحث عن دراسات سابقة توجه وتضبط الموضوع الذي نحن بصدد دراسته، ويمكننا في النقاط الآتية ذكر بعضا من أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي:

- التأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور بها من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو مزيدا من الجهود البحثية، فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في حاجة إلى البحث بالإضافة أو التعديل، وهذا بالتالي قد يؤدي إلى البرهنة على أهمية البحث المقترح وجدوى تنفيذه (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص 154).
- تساعد الدراسات السابقة الباحثين من خلال الرجوع إلى النظريات ذات الصلة في وضع أسئلتهم من منظورهم، وأن يقرروا مدى ما يضيفه مسعاهم هذا من معرفة لدراسات عدة، كون المعرفة تراكمية، والباحث هنا يعود إلى الأدب التربوي كي يجد ارتباط بين دراسته والمعرفة التراكمية في مجال اهتماماته، فالدراسات التي لا ترتبط مع المعرفة الموجودة نادرا ما تضيف أية اسهامات إلى حقل الدراسة أو مجالها، فالدراسات كهذه عبارة عن أجزاء صغيرة من المعلومة (منذر الضامن،2006، ص 87).
- يعرف الباحث بالصعوبات التي وقع فيها الباحثون الآخرون وماهي الحلول التي توصلوا إليها لمواجهة تلك الصعاب ومن ثم يتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها الآخرون كما تزود الباحث بالعديد من المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه، حيث غالبا ما تحتوي تلك الدراسات على بعض التقارير الهامة أو الوثائق الهامة التي لم يطلع عليها الباحث بعد(محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص 93).
- تساعد الباحث في تحديد الإطار النظري لموضوع بحثه وتعديل هذا الاطار بحسب المستجدات البيئية التي قد تفرض أحيانا بعض التغير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها الدراسة العلمية، كما أن الدراسات السابقة تساعد الباحث في تكوين أفكار واضحة لما يجب أن يقوم به وذلك من خلال تحديد الأبعاد والتي تتطلب تركيزا أكبر بالمقارنة مع تلك الأبعاد التي تحتاج تركيزا أقل نظرا لضعف أهميتها، كما يساعد هذا الأمر على تحديد المنهجيات الأكثر ملاءمة لاتباعها في هذا البحث أي أنها تساعد في تحسين قدرة الباحث على كتابة مشكلة بحثه بمزيد من الدقة والوضوح (محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص 94).

- تساعد الدراسات السابقة الباحث بتحديد المنهج المناسب للدراسة ومعرفة إيجابيات كل منهج من هذه المناهج حسب ملاءمته لموضوع البحث الحالي مقارنة بما استخدم في دراسات سابقة، كما تساعد الدراسات السابقة الباحث في بناء استمارة بحثه أو تصميم شبكة ملاحظته أو دليل مقابلته من خلال إيجاد بعض فقرات هذه الأدوات، كما تساعد هذه الدراسات الباحث في تحديد مفاهيم بحثه وصياغة التعريفات الإجرائية.

6. انعدام الدراسات السابقة:

الباحث الجاد لا شك أنه يبذل قصارى جهده بغية الوصول إلى الدراسات السابقة التي تؤطر وتوجه الموضوع المراد دراسته غير أن خصوصيات بعض المواضيع تجعل من تحقيق هذا الاجراء أمر غاية في الصعوبة، فبعض المواضيع والمشكلات البحثية تعرف ندرة في التناول.

في هذا السياق وجب التنبيه على أمر مهم وهو أن الباحث عليه تفادي قدر الإمكان استخدام عبارات مثل " ليس هناك دراسات سابقة " أو " لا يوجد دراسات تناولت الموضوع" أو " تنعدم الدراسات السابقة في هذا الموضوع" وغيرها من العبارات التي تفيد هذا المعنى، فلا يحمل الباحث نفسه مسؤوليةالنفي ابتداء (أحمد إبراهيم خضر، 2013، ص 160).

قد تنعدم الدراسات السابقة التي تتناول مشكلة الدراسة الحالية سواء السابقة أو المشابهة، لكن هذا الانعدام نسبي، ومن ثم وجب بذل جهود أكثر للبحث في التراكم المعرفي وفي خلفية المشكلة وذلك على النحو الآتي:

- ✓ **الخلفية العامة الموضوعية والخلفية النظرية:** يطلع الباحث على الموضوعات القريبة من موضوعات بحثه في حدود المجال أو الحقل العام الذي يندرج تحته البحث، مثلا موضوع الانحراف يبحث عن دراسات في مواضيع العنف، العدوان، الضبط الاجتماعي وهكذا.
- ✓ **الخلفية العامة الزمانية:** يتجه للبحث في حدود الأحداث السابقة للفترة الزمنية التي يريد الباحث دراستها.
- ✓ **الخلفية العامة المكانية:** تكوين فكرة عامة عن تطور المشكلة في المجتمعات المماثلة والقريبة ثم البعيدة عن المجتمع قيد الدراسة.

7. كم نحتاج من دراسات سابقة؟

يذهب بعض علماء المنهجية بأنه ليس هناك إجابات محددة أو قواعد ثابتة تبين عدد الدراسات السابقة التي يجب أن يراجعها الباحث، ولكن هناك مبادئ عامة على الباحث اتخاذ قرار بتحديد العدد منها:

1. أن يجري الباحث مسحا شاملا عاما على كل ما تحصل عليه مما له صلة بمشكلة بحثه.
2. أن يفاضل بين ما تحصل عليه من دراسات من حيث:

- قربها أو بعدها من المجال الموضوعي لمشكلة البحث.
- قربها أو بعدها من المجال المكاني لمشكلة البحث.
- قربها أو بعدها من المجال الزماني لمشكلة البحث.
- حداثة وقدم الدراسات إلا للضرورة.

قائمة بالمراجع المعتمدة:

1. صيني، سعيد اسماعيل. (1994) قواعد أساسية في البحث العلمي.(ط1). مؤسسة الرسالة.
2. عقيل حسين عقيل.(دت) فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي.
3. عبد الفتاح فيصل أحمد. (2011) تقييم جودة الدراسات السابقة في الرسائل الجامعية. ورقة مقدمة في الملتقى العلمي الأول حول تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة. جامعة نايف للعلوم الأمنية. السعودية
4. بوب ماتيوز. ليز روس.(2016). الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. ترجمة: محمد الجوهري.(ط1). المركز القومي للترجمة.
5. منذر الضامن ،منذر.(2006). أساسيات البحث العلمي. عمان: دار المسيرة
6. محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي.(دت). البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين. الأردن: دار وائل للنشر
7. خضر، أحمد إبراهيم.(2013). إعداد البحوث والرسائل العلمية من الفكرة إلى الخاتمة. جامعة الأزهر